(٤) الذئب والشيطان

- انا اسجل اعتراضى ورفضى التام لهذا الاسلوب فى التعامل معى بهذا الشكل المهين.. يتم تفتيشى والتحفظ على هاتفى واجبارى على انتظارك لاكثر من ساعتان..

هتف بهذه الكلمات الغاضبة رجل فى منتصف الخمسينات من عمره ابيض البشرة ذو لحية بيضاء خفيفة تتوسط جبهته دائرة صغيرة سمراء (علامة صلاة) يرتدى نظارة طبية فاخرة وحلة زرقاء شديدة الاناقة واضاف وهو يلوح بيده الممسكة بسبحة من العاج النادر قائلا لابن الرئيس الذى يجلس أمامه بغرورواضح وبملامح باردة مستفزة:

- يبدوا انك تناسيت من نحن..

لاحت ابتسامة ساخرة على وجه ابن الرئيس ثم قال فى لهجة لاذعة قاسية:

- انتم مجموعة متلونة ليس لها مبدأ واحد ولا سياسة محددة ..تتلاعبون بالدين لخدمة مصالحكم الخاصة ..هدفكم الوحيد هو الوصول الى السيطرة على البرلمان وحكم البلاد..

احتقن وجه الشيخ وهمّ بالرد غاضبا الا ان الكلمات توقفت فى حلقه عندما اشار اليه ابن الرئيس محذرا قائلا بمزيج عجيب رهيب من الصرامة والقسوة والشراسة والغضب المكتوم:

- كن حذرا وحاول ان تتحكم فى انفعالاتك امامى والا ستخسر الكثير جدا..

تبادل الاثنان نظرات صارمة وبدا ان الشيخ سينفجر فى وجه ابن الرئيس ولكن امام نظرات التحدى النارية الصارمة التى رآها فى عين ابن الرئيس ..ومعلوماته الاكيدة عن عنفه وقسوته وقلبه الذى لا يعرف الرحمة ..تنهد فى عمق وهو يدفن ثورته داخل اعماقه وقد قرر ان يتخطى الموقف ويتخذ سياسة اللين والمرونة وهو ما انتقل بالفعل فى كلماته وهو يقول:

- اذا كان هذا رأيك .. فلماذا وافقت من البداية على التعاون معنا ووضعت يدك فى ايدينا؟..

مط ابن الرئيس شفتيه ثم قال فى برود عجيب مقتضب:

- للضرورة احكام ..

سأله الشيخ فى برود مماثل:

- وهل الضرورة انتهت؟!

أومأ ابن الرئيس برأسه بالايجاب فى صمت مستفز .. فأطلق الشيخ ضحكة قصيرة ساخرة ثم سأل :

- أهى توجهات أمريكية؟..

تنهد ابن الرئيس قائلا وهو يغمز بطرف عينيه:

- لو هي توجهات امريكية كنت بالتأكيد قد علمت بها اثناء زيارتك السرية لها فى الاسبوع الماضى..

ظهر التوتر على وجه الشيخ وهو يقول فى سرعة :

- لقد كانت زيارة ودية لبعض اصدقاءنا فى الكونجرس..

سأله ابن الرئيس ساخرا :

- لماذا اذن تمت فى اطار سرى؟؟

ظهر الارتباك قليلا على وجه الشيخ وهو يرد:

- هى مجرد زيارة .. لا اكثر ولا اقل.. ولا اتصور ان زيارة واشنطن تعد جريمة أو خيانة عظمى .. (ثم رمق ابن الرئيس بنظرة خاصة وهو يضيف) .. فالجميع يزورونها..

ارتسمت ابتسامة واسعة ساخرة لاذعة على وجه ابن الرئيس وهو يتبادل النظرات الصامتة مع الشيخ الذى عاد ليضيف بلهجة ذات مغزى خاص:

- وبالمناسبة علاقتنا جيدة ومميزة جدا معهم ..

قال ابن الرئيس بحروف بطيئة تحمل برودة الثلج:

- هل تهددنى بهم؟؟

هتف الشيخ :

- على العكس تماما .. بل اذكرك بأنهم يدركون تماما بأننا اقوى قوة سياسية على الارض ولا يمكن اقصائنا او تجاهل وجودنا..

اسرع ابن الرئيس يقول وهو يميل الى الامام قليلا وعلى وجهه نفس اللمحة الساخرة :

- هذا لأنهم هم من صنعوكم .. خلقوا فكرة الاخوان فى العالم العربى لضرب القومية العربية واضعافها والغاء الهوية العربية .. مثلما قاموا بتمويل القاعدة وبن لادن وطالبان بالمال والعتاد فى افغانستان لضرب الاتحاد السوفيتى ابان الحرب الباردة.. نفس الطريقة فعلها الاسرائيليون بخلق ودعم حركة حماس لاضعاف عرفات ومنظمة فتح ولضمان خرق دائم لعملية السلام .. وقاموا بتكرار نفس الخطة بدعم حزب الله لتمزيق لبنان ..

احتقن وجه الشيخ من فرط الانفعال ولكنه تماسك بصعوبة وهو يقول :

- يبدوا انك لم تقرأ جيدا أصل نشأة الاخوان وسيرتهم عبر العصور..

قال ابن الرئيس فى سرعة :

- بلى .. ولكنى قرأت التاريخ جيدا .. وعلمت انه يعيد نفسه لأننا لا نقرأه وبالتالى لا نتعلم ونرتكب نفس الاخطاء..

هتف الشيخ :

- التاريخ يتلاعب بكل من يقرأه .. فهو مجرد صفحات كاذبة كتبها الحكام والملوك الذين دائما ما يكرهوننا رغم اننا كنا ولازلنا الاكثر نظامية والانجح والاقرب الى عموم الشعب ..يجمعنا حب الوطن تحت راية الاسلام..

اطلق ابن الرئيس ضحكة ساخرة ثم قال:

- حب الوطن !! .. أى وطن؟! .. (ثم اكتست ملامحه الجدية الشديدة وهو يستطرد) .. انتم تنظيم دولى منتشر فى أكثر من ٧٠ دولة .. لا تعرفون شيئا عن انتماء الارض .. فإلى أى وطن تنتمون؟!

هتف الشيخ فى حزم :

- قد نختلف فى الاصل والانتماء والوطن ولكن فى النهاية ..نحن مسلمون ولائنا للاسلام ..

تراجع ابن الرئيس وهو يقول بنفس اللهجة الساخرة اللاذعة:

- استخدامك للمفردات الدينية فى حديثك قد يؤثر على تفكير البسطاء الفقراء والجهلاء ولكنه لا يجدى معى لأنى اعلم كيف تفكرون فأنتم تحاولون السيطرة على كل دولة على حدة ثم تقومون بعمل اندماج او اتحاد فيدرالى لتشكيلة دولة اسلامية فيتحقق حلم الخلافة المزعوم..

(صمت لحظة واحدة بعدها اضاف وهو يلوح بيده بطريقة مسرحية) .. بفكر غربى ورعاية أمريكية..

وهنا اندفع الشيخ فى غضب واضح وهو يشير الى ابن الرئيس:

- انتم ايضا تريدون فرض الفكر الليبرالى العلمانى برعاية امريكية.. (ثم هدأت نبرات صوته فجأة وهو يستطرد) .. واذا كنت تعرفنا جيدا أكرر سؤالى مرة أخرى لماذا تعاونت معنا؟ .. لقد عقدنا معا صفقة والتزمنا بها .. فلماذا تحاول الغائها الان؟؟ ..لقد التزمنا بالدفاع عنكم فى كل اللقاءات بالداخل والخارج ..فلماذا تريد اعادة حالة الصدام بيننا .. (تغيرت نبرة صوته وهو يتطرد مرة اخرى باسلوب من يحاول ان يبدى مرونة) .. اذا كان هناك امر ما تعترض عليه ..فمن الممكن مناقشته والوصول الى حلول وسطية..

هز ابن الرئيس رأسه نافيا قائلا بصوت قاسى:

- لا توجد اى حلول وسطية .. فانتم تتوسعون داخل انظمة الدولة بصورة لا يمكن السكوت عليها .. فإما انتم أو نحن ..

تصاعدت الدماء فى وجه الشيخ وهو يقول فى عصبية غاضبة:

- واشنطن لن يعجبها ما ترمى اليه..

هتف ابن الرئيس :

- واشنطن تدعم الجبهة الاقوى..

اشار الشيخ الى نفسه صائحا :

- ونحن الاقوى..

قال ابن الرئيس فى ساخرا:

- اواثق انت من هذا..

عاد الشيخ يصيح :

- بكل تأكيد وثقة فى اخوانى وعشيرتى و.....

بتر كلماته وقطب حاجبيه وبدا انه انتبه لأمر هام فغمغم وعلى وجه علامات التفكير العميق :

- مهلا ... انها المرة الاولى التى اراك فيها تتكلم وتتناقش معى بكل استفاضة ودون مقاطعة او الرد بكلمات مقتضبة و...

بتر عبارته مرة اخرى وابن الرئيس ينظر اليه بعيون ساخرة ..ثم هتف فجأة وقلبه يدق بقوة وانفعال:

- انت تخطط لشئ ما..

اطلق ابن الرئيس ضحكة شيطانية وهو يكرر ساخرا كعادته:

- أخطط !!... (ثم انقلبت ملامحه الى شراسة رهيبة وهو يستطرد) .. بل أنفذ..

شحب وجه الشيخ وقد ادرك ان هناك امر خطير يحدث لجماعته بينما وقف ابن الرئيس وراح يعقد الزر الاوسط من حلته الانيقة وهو يقول بمزيج من الحزم والحسم وبمنتهى القوة والصرامة:

- لقد حان الوقت لاعادة الشريط اللاصق الى افواهكم..

اتسعت عينا الشيخ فى فزع واضح ثم سأله فى قلق :

- ماذا تقصد؟؟

اجابه ابن الرئيس وهو يتجه الى نافذة حجرة مكتبه:

- الاجهزة الامنية تقوم الان بحملات اعتقالات واسعة وفى آن واحد ضد جميع زملائك.. الكبير منهم والصغير..

انتفض الشيخ فى مكانه وتلاحقت انفاسه وهو يهتف بكل انفعال وعصبية :

- هذا تصعيد خطير تنهار امامه كل اتفاقياتنا معكم..

صاح ابن الرئيس فى لامبالاه ساخرة وهو يتأمل المشهد خارج نافذة مكتبه:

- ومن يهتم؟

عاد الشيخ يهتف فى ثورة:

- سأستغيث بالمرشد العام فى مصر .. سأستغيث بالعالم العربى .. سأطلب الحماية من قطر ولندن وواشنطن.. سنحرك ضدكم الرأى العام والبرلمان..

التفت ابن الرئيس اليه وقال بسخريته المعهودة وهو يعود الى مكتبه متجاهلا ما قاله:

. لقد كان اتفاقنا على ٢٠ مقعد وانتم حصلتم على ٣٠ مقعد بنسبة ٢٥% من اجمالى اعضاء البرلمان ويتبقى ٧٥% من اعضاءه كلهم يتبعون الحزب الحاكم وكلهم تابعون لى ..

ثم ضغط زرا صغيرا بطرف مكتبه وهو يستطرد فى شراسة وشماتة:

- اى أنكم مازلتم صفر على اليسار.. لا قيمة لكم..

وهنا ظهر ثلاث رجال أمن أشداء احاطوا بالشيخ الذى راح يتبادل مع ابن الرئيس نظرات نارية يملؤها التهديد والوعيدالى ان صاح والامن يصطحبه الى الخارج:

- ستدفع الثمن غاليا..

رد ابن الرئيس ساخرا:

- لقد مللت هذه العبارة التى يكررها الكثيرون دون ان يكون لديهم القدرة على تنفيذ حرف واحد منها..

وبعد ان خرجوا جميعا عاد ينظر من نافذة مكتبه الى ساحة القصر متأملا المشهد بالخارج فى هدوء عجيب..

*****